إلى سمية غزة

حلمي صابر - ١٣-٨-١٤٤٥هـ

____



أريد أن أقابلكِ يا سمية في غزة

لا لتخبري عني

إنما لأخبرَ العالمَ عنكِ

مبكرا ، يا صغيرتي حملتي الهمَّ

كم من أصحابكِ فقدتي ؟

كم منهم لا زال تحت الهدمِ ؟

يا جميلتي، لقلبي فطرتي

حينما قلتي : بأننا في غزة نُدمَّر

وهل مثلكِ يا زيتونة العينين يدمر

وهل براءتك تُقتل

وهل طفولتك تُعصف

وهل للإحدى عشرَ عاما من عمرك يُخسف

أخبريني عن غزة يا مُخبرَتِي

اكتبي ما تخبره سمية عن غزة يا محبرتي

وسجلي للتاريخ بأنها تخاف ، لكنها على ربها تتوكل

وسجلي بأن مُعلِّمَ العقيدةِ ركِبَ الخوفَ ، وبالصمت تدثر ، ولم يتوكل

تخرجُ من بيتها والهمُ بين يديها

ولأنها إعلامية تخافُ أن تُقتل

يا قلبَ والديك عليك وقلبي معهما عليكِ

تسألينَ الجدران ، وتسألين البيت المُهدَّم

سألتْ السوق والخضار ، وتسأل البحر والشاطئ

وتسألُ القاربَ حزينةً : حتى أنتَ أُغرِقتَ ؟!

وتسأل الخوفَ : هل يا خوفُ خِفتَ ؟

تسألهم: " عرِّفنا عن حالك "

أسأليني أنا عن حالي

وسأخبركِ : بأنَّ حالكِ هو حالي ، وأنت غزاوية بجمال حالٍ

طعمكِ الزيتون والعروبة والأقصى ، أنعمْ به من مذاقِ

سأخبرُ الناسَ عنكِ

وسأخبر الناس عن وجَعَك

وسأصورُ معكِ من استشهد

وسأصور رسومات الجدران وعنها سأنشر

وسأكتب على الجدران

ضميرُ البراءة في غزة عن حالنا تُخبِر

ومعك سأنشدُ: يا أيها الإنسان هل تبكي لما أبكاني

نعم يا صغيرتي: في الحرب الغلاء يفحش

لأن الرغيف يشح ويندر

والماء يعطش ، والبرد يرجف

والخيمة في البرد لا تدفئ

في الحرب يا صغيرتي : تشحُ الأشياء فتغلى

يصعبُ دخولها ، فيرتفع سعرها

لا لندرتها بل ولأن سُبلَ وصولها وعِرة

أليس الطريقُ يُقْصَف

والتاجر بغلاء أسعاره يحرج

فبضاعته جاءته بسعر عال ولا يريد أن يخسر ؛

وليجلب جديدا ؛ ولجديده لا ينفد

أنا أسألكِ يا سمية : خبريني عن حالك

أنا قلقٌ عليكِ ، وعلى غزة وعلى فلسطين وعلى أمي وستِّي

خبريني يا سمية : عن شجرةِ الزيتون والتين في بيتي

وأخبري البيتَ المهدومَ وقولي له : لا تحزنْ

وأنتِ لا تحزني يا جميلتي

فضميرك وردي رقيق حمل الصورة والصوت لضميرنا الأسود

من فضلك يا سمية: اشترِ لنا ضميرا جديدا ،

فضميرنا لم يعد ينفع

وصبِّ على قلوبنا من غزة زيتَ الزيتون

ليجلي لعنةَ التطبيع مع النازي الصهيون

سامحيني؛ لا أريدُ أن أزيدَ وجعًا إلى وجعك

يا وردة غزة: لا زلنا في توثيق البداية ، فلغبار الحرب بعدُ لم ننفض

وحينما ينقشع الجدار والغبارُ والهدم

فعما ستخبرين عنه سيكون هو الأصعب

صرتُ بسببك يا صغيرتي على حالي أحزن

تخبرين عن الجريحة غزة ، وأنا عنكِ لاهٍ ألعب

الماء في بيوتنا دافئ

والسقف من المطر يحجِب

والكهرباء في أجهزتنا تضيء وتغسل وتطحن

وأنت يا جميلتي في خيمة

قماشها من المطر لا ينشف

والبرد حتى اللحاف منه يرجِف

والهواء البارد لوجهك البريء يلفح

وتغربُ الشمس ، والكهرباء عندكم لا تُشْرِق

تجوعين في الليل يا حبيبتي ، يا دمعَ عيني

وليس في الخيمةِ ، الزيتونُ واللبنةُ والزعترُ الأخضر

وتعطشين والماء في الجالون أنشف

سأخبرُ الناسَ عنكِ يا سمية

أيها العَالم:

تجوبُ إعلاميةٌ طفلةٌ شوارِع غزة بضميرها الوردي،

وتسألُ الناسَ حالهم

فهل لحالها غيّرنا ؟!

فليباركْكِ ربي

كيف تخسرُ أمةٌ وأنتِ منها

يا قنوات العالم ،

يا صِحافة العالم ،

يا أهلَ الإعلام ،

يا أخبار العالم

قُتِل الإعلاميون بالعشرات في غزة !

فشحَّ عندنا الإعلاميون، فجئنا لكم بهذا الإعلامي الأصغر

فهل أيضا ستُقتل ؟!

هل يسوغُ كتابةَ قتلَ طفلٍ ، عن قتلِ الأطفال يُخبِر

أذوبُ حياءً في نفسي عند كتابة " قتل الطفل "

وأكادُ منه أتفطر

حتى الطفل البريء عند الصهاينة يُقتل ؟!

وضعتْ السميةُ الدرعَ والخوذةَ عليها ،

شَرُفَ الإعلامُ بكِ

متى ضمير العالم يصحو ؟!

أهذهِ الإعلامية بطيران الصهيون ربما تقصفْ !

أيها العَالم ، يا إعلام العَالم :

سألتكم طِفلة: عرِّفنا عن حالك ؟

أجيبوها :

ما الحال مع هذه الطفلة في ظلامِ الضمير العالمي الحالك؟!

انتهى